

جواب سؤال

قمة أردوغان وبوتين في سوتشي الروسية

السؤال: في يوم الأربعاء ٢٩ أيلول/سبتمبر ٢٠٢١ عقدت قمة بين أردوغان وبوتين في سوتشي الروسية، حيث كان الرئيس التركي على رأس وفد ضم رئيس جهاز الاستخبارات هاكان فيدان، ورئيس دائرة الاتصال بالرئاسة فخر الدين ألطون، والناطق باسم الرئاسة إبراهيم قالن، دون أيٍ من وزرائه! (وكان لافتاً أن اللقاء الذي استمر لمدة ٣ ساعات جرى خلف أبواب مغلقة، ولم يعقد الرئيسان في ختامه مؤتمراً صحافياً مشتركاً، خلافاً للبروتوكولات التي يتبعها الكرملين في زيارات مماثلة. كما أن الرئيسين لم يصدرا بياناً ختامياً... الشرق الأوسط ٢٠٢١/٠٩/٣٠) فما أسباب هذه الزيارة؟ وما أهدافها؟

الجواب: لكي نجيب على التساؤلات أعلاه نستعرض الأمور التالية:

١- من ملاحظة اهتمامات أمريكا الحالية يفهم منها أنها تركز جهودها تجاه الصين وأنها تخطط للانسحاب من منطقة الشرق الأوسط لتتفرغ إلى الصين ثم تُوكِّل عملاً لها في المنطقة للقيام بالدور الذي تريده، وكانت هذه السياسة على عتبة إدارة ترامب، أي قبلها بقليل، حيث حصل تغيير في السياسة الأمريكية، إذ كانت أمريكا تحشد قواها السياسية والعسكرية حول الصين فلنجات إلى استخدام أكبر للدول التابعة لها مثل تركيا. وكان من تلك السياسة أن أعطت إدارة ترامب دوراً لتركيا في سوريا، وفي ليبيا، وفي شرق المتوسط، وغيرها من المناطق. وبهذا الدور الجديد لتركيا فقد أخرجت أمريكا نفسها عملياً من مداولات الأزمة السورية وجعلتها بين تركيا وروسيا، وطفت على السطح المباحثات التركية الروسية في أستانة وجنيف، ثم إدخال الجيش التركي لشمال سوريا...

٢- ثم خف هذا الدور مع بداية عهد بايدن لاعتبارات سياسية رأها الديمقراطيون، فكان أول اتصال هاتفي بين الرئيس الأمريكي بايدن والتركي أردوغان في ٤/٢٣ ٢٠٢١، أي بعد ثلاثة شهور من تسلمه بايدن مقاليد الرئاسة في واشنطن، وخلال الاتصال تم الاتفاق على عقد جلسة بينهما على هامش قمة الناتو في بروكسل في ١٤/٦/٢٠٢١، وفي إشارة واضحة للخلافات بينهما فقد أعلن الرئيس الأمريكي بعد يوم واحد من الاتصال بينهما عن أن ما أسماه مذابح الأرمن في تركيا تعتبر إبادة جماعية، وقد أخبر بايدن أردوغان نيته إعلان ذلك خلال الاتصال الهاتفي بينهما، وضجت تركيا وضع أردوغان لكن كل هذا الضجيج بقي ضمن الجماعات الإعلامية، ولما تم الاجتماع المغلق بينهما على هامش قمة الناتو في ١٤/٦/٢٠٢١ في بروكسل فقد بُرِز توافقهما على أفغانستان، وقد هَلَّ أردوغان لهذه المهمة، (وأشار أردوغان إلى أنه ناقش مع بايدن الوضع في أفغانستان. وقال: "نحن جاهزون، لا يمكننا القيام بإهمال طالبان في أفغانستان، جاهزون للتعامل معهم إذا ما حصلنا على دعم الولايات المتحدة وكذلك دول أخرى... CNN عربية، ١٤/٦/٢٠٢١)، لكن يبدو أن الأهم من ذلك كان موضوع الانسحاب من سوريا وخاصة الدور التركي في المحادثات مع روسيا حول الانسحاب...

٣- إن أعقد انسحاب بالنسبة لأمريكا حالياً هو سوريا لأن المسألة لا تتعلق بها وحدها، فإن فيها إيران وحزب إيران وتركيا والأهم من هذا كله روسيا التي أدخلت إلى سوريا بإيعاز من أمريكا في ٢٩/٩/٢٠١٥ خلال اجتماع أوباما مع بوتين، وكل هذه الأمور تحتاج إلى تدابير معينة لتضمن أمريكا الانسحاب الكامل للآخرين وبالذات روسيا قبل أن تسحب هي قواها، وخاصة أنها أوجدت طمأنينة عند الأكراد بأنها تدعمهم ولا تتركهم كما فعلت في أفغانستان (ذكر القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية مظلوم عبدي أن الرئيس الأمريكي جو بايدن وعد بأن الولايات المتحدة لن تتخلى عن حلفائها الأكراد بسوريا بعد انسحابها من

أفغانستان الشهر الماضي... وقال عبدي "للتايمز" من مقره بالقرب من مدينة الحسكة: "طمأنونا أن هذه ليست أفغانستان. قالوا إن السياسة "الأمريكية" هنا مختلفة تماماً". آر تي، ٢٨/٩/٢٠٢١)

٤- إن أمريكا لا تزيد أن تسحب هي وتبقي روسيا خاصة وأن روسيا بدأ عليها التململ من سياسة أمريكا والتفرغ للصين في الوقت الذي تقرب فيه روسيا من الصين في أكثر من موقف، ولذلك فمن المرجح أن أمريكا خلال اجتماع الرئيسين الأمريكي بайдن والروسي بوتين في جنيف في ١٦/٦/٢٠٢١ كانت تضغط على روسيا لتبتعد عن الصين وتقرب من الموقف الأمريكي... ومع أن أمريكا كانت تخطط للانسحاب من سوريا وتوكيل عملايها إدارة الأمور نيابة عنها، وعلى الرغم من أن انسحاب روسيا هو أمر مهم لأمريكا قبل أن تسحب قواها من سوريا نهائياً وتوكل عملايها ملء الفراغ وتفرغ هي للصين، على الرغم من ذلك إلا أنها في الوقت نفسه لا تزيد أن يجعل من روسيا نداً لها، فلم تبحث معها مباشرة موضوع الانسحاب من سوريا، وإنما كلفت أردوغان ببحث هذا الموضوع معها على اعتبار أن روسيا أقل شأناً من أن تبحث أمريكا مباشرة معها مشروع الانسحاب من سوريا، وخاصة بعد أن أطمأنت أمريكا إلى أن عمليها بشار قد تحسنت علاقاته مع دول المنطقة بعد محادثات توصيل الغاز المصري عن طريق الأردن وسوريا، ولبنان، وأصبح يمكن لأمريكا الاعتماد عليه إلى أن تجد بديلاً مناسباً له... وهكذا كلفت أمريكا أردوغان ليبحث مع روسيا موضوع انسحاب روسيا من سوريا... (صرح أردوغان بأنه سيلتقي بوتين يوم ٢٩ سبتمبر/أيلول الجاري، لبحث العلاقات الثنائية وآخر التطورات في محافظة إدلب السورية. وقال في تصريح صحفي "لقاءي مع بوتين سيكون ثنائيا دون وجود شخص ثالث، ولن يقتصر على الأوضاع في إدلب، بل ستناقش عموم الأوضاع في سوريا، والخطوات التي سنقدم عليها في هذا البلد، والعلاقات الثنائية أيضاً". وأشار أردوغان إلى أن تركيا وروسيا دولتان محورتان في المنطقة، مبيناً أن بوتين رجل دولة، وأظهر ذلك في حل الصراع الأذربيجاني الأرماني. الجزيرة نت، ٢٨/٩/٢٠٢١). وقال أردوغان الذي رافقه هاكان فيدان رئيس جهاز الاستخبارات الوطنية قبيل لقائه بالرئيس بوتين في مدينة سوتشي الروسية: (السلام في سوريا مرتبط بالعلاقات بين تركيا وروسيا، والخطوات التي يتخذها البلدان معاً لها أهمية كبيرة. وكالة الأناضول، ٢٩/٩/٢٠٢١).

٥- لقد أدركت روسيا هذا الأمر واعتبرته إهانة لها بأن يبحث أردوغان معها موضوع الانسحاب من سوريا بدلاً من أن تبحث أمريكا معها هذا الأمر مباشرة وخاصة أنها هي التي أدخلتها إلى سوريا، فكيف الآن لا تبحث معها موضوع الانسحاب مباشرة بل وَكَلَتْ أردوغان بذلك؟! وعليه فقد اعتبرت هذا إهانة لها وخاصة أن بوتين يُمْدُ عنقه ليحاكي أمريكا كدولة مؤثرة كبرى في العالم! ولذلك فإن روسيا اتخذت موقفاً تجاه أردوغان ليكون درساً لتركيا وفي الوقت نفسه رسالة لأمريكا لعلها تعود فتوافق على بحث هذا الموضوع، أي الانسحاب، معها مباشرة، وكان ذلك من خلال:

أ- (تجاهل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وصول نظيره التركي رجب طيب أردوغان إلى بلاده الأربعاء بدلاً من استقباله في المطار أرسل إليه رئيس بلدية سوتشي أليكسي كوبايغورودسكي، ونائب محافظ إقليم كراسنودار ألكسندر رابول... وكان في استقبال أردوغان، في مطار سوتشي، المدير العام لبروتوكول الدولة بوزارة الخارجية الروسية، إغور بوغداشيف، وسفير تركيا في موسكو، محمد سمسار، والقنصل العام لنوفوروسياسك، فرات بايار، وموظفو السفارة التركية... تركيا الآن ٢٩/٩/٢٠٢١).

ب- وكذلك أوعز بوتين لصحيفة برافدا لتكيل الشتائم إلى أردوغان ووصفه بالمسكين! المعروف أن "برافدا" صحيفة روسية كانت من أكبر صحف العالم توزيعاً خلال الفترة السوفيتية، وهي الآن واحدة من الصحف الرائدة القريبة من قصر الكرملين: (تطاولت صحيفة "برافدا" الروسية، المقرية من الكرملين، الثلاثاء، على الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، ووصفته بالمسكين، في مقال يحتوي عبارات حادة، قبيل زيارته إلى سوتشي، وفي مقال منشور بصحيفة "برافدا"، قال الصحفي الروسي، ألكسندر شتروم، "المسكين ليست لديه فرصة في إعادة انتخابه"... تركيا الآن ٢٩/٩/٢٠٢١).

٦- وعليه فقد كان الاجتماع بين بوتين وأردوغان يحمل فشله من بدايته إلى نهايته، بل قبل أن يبدأ! ويبدو أن أردوغان كان يتوقع ذلك وهذا اهتم بأن يكون حضور الاجتماع مضيقاً جداً، أي بينه وبين بوتين، ومن ثم لا تتسع دائرة المطعين على الفشل، وهذا ما كان... وهكذا فلم تتحقق أية نتيجة إيجابية من ذلك الاجتماع، ورجع بعدها خُنَين حتى المؤتمر البروتوكولي الذي يعقد عادة بعد كل اجتماع لم يعقد! (أختتم في مدينة سوتشي الروسية، اليوم الأربعاء، لقاء الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ونظيره التركي رجب طيب أردوغان، دون أن يعقدا مؤتمراً صحافياً وبعد لقاء استمر ثلاث ساعات، لم يصرح الجانبان عن نتائج أو تفاصيل، باستثناء تصريحاتِ دبلوماسية دون أي معلومات عن فحوى اللقاء... من جانبه، اعتبر المحلل السياسي درويش خليفة في حديث موقع "العربي الجديد" أن عدم التصريح بأي مخرجات عن الاجتماع يؤشر إلى عدم وجود اتفاق بين الطرفين وخلافات وحصاً على ذلك لم يجر أي مؤتمر صحافي. وأضاف خليفة أن الملف السوري هو أساس الاجتماع وليس كما يروج البعض حول أوكرانيا أو ليبيا... العربي الجديد ٣٠/٩/٢٠٢١).

٧- أما عن اجتماع أردوغان المقرر مع بايدن على هامش قمة العشرين خلال نهاية تشرين أول، (يعقد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، لقاء ثنائياً مع نظيره الأمريكي جو بايدن خلال قمة زعماء مجموعة العشرين المقررة في أكتوبر/ تشرين الأول القادم... وأضاف المصادر أن أردوغان سيلتقي نظيره الأمريكي بايدن على هامش القمة. وكالة الأناضول، ٢٨/٩/٢٠٢١)، فيبدو أنه بشأن الخطوة التالية بعد فشل اجتماع أردوغان مع بوتين!

ومن المتوقع أن أمريكا إذا أمكنها أن تهيمن على موقف روسيا تجاه الصين، أي تجعل روسيا تقترب منها ضد الصين، فعندها لن تعطي أمريكا أي اعتبار لأردوغان بل ستترك فشله يحيط به وحده! وهي قد تعود للاتفاق مع روسيا إذا ضمنت أنها ستبتعد عن الصين... فهذه الدول المستعمرة لا يهمها احترام عملائها أو الدائرين في فلوكها إذا رأت أن هذا يحقق مصلحة لها!

٨- وخلاصة الأمر يمكن أن تتضمنها النقاط التالية:

أ- إن أمريكا تُعد العدة للانسحاب من الشرق الأوسط وتوكيل الأمور إلى عملائها وللذين يدورون في فلوكها وأن تتفرغ هي للصين حتى وإن لم يكن صراعاً ساخناً بل حرباً باردة كما اهتم أمريكا بذلك المتحدث باسم السفارة الصينية في واشنطن ليو بينجيو معيناً على تحالف أمريكا وبريطانيا وأستراليا بقوله: (هذه الدول يجب أن لا تشكل تحالفات إقتصائية تستهدف مصالح أطراف أخرى أو تضر بها وأهم ما ينبغي لها فعله هو التخلص من عقلية الحرب الباردة والتحيز الإيديولوجي... الجزيرة نت ١٦/٩/٢٠٢١).

ب- إن الدولة العثمانية التي كانت تُؤثر روسيا أولاً لم تعد موجودة، فتنفست روسيا والأعداء الصُّنُداء، وأصبح الآن حكام تركيا من وجهة نظر روسيا أضعف من أن يُشار إليهم بالبنان، فلا تعبأ بإعطائهم وزناً لا في الحل ولا في الترحال!

ج- إن هناك نقطة إيجابية في كل ما جرى وهي أن الدول الكافرة المستعمرة تكاد تخزن أمتعتها وترحل من بلاد المسلمين، وهي فرصة مناسبة لحملة الدعوة وكل من يريد اتباع الحق أن يستبشروا خيراً بقرب علو منزلة الإسلام وأهله، والخطاط منزلة الكفر وأهله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قُلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

في التاسع والعشرين من صفر ١٤٤٣ هـ

٠٦/١٠/٢٠٢١ م